تحليق

مزمل شريف / السودان

مازال يسمع صوتها رغم الهدوء المحيط به ما زال يتذكر كل كلمه وحرف قالتهم ذاك اليوم حتى اختلط الوهم بالحقيقة، لم يعد يعي تماماً ماذا يدور في عقله هناك الآف الأفكار التي تخامرُ عقله ضحكاتها التي كانت تملأ المكان أخر رسالةٍ أرسلتها له لكنه لم يكلف نفسه عناء قرائتها، كل ما يذكره ما قاله لها في أخر لحظة، كأنه اليوم يذكر كل شيء رائحتها وعطر القرنفل الذي ينبعث من خصلات شعرها، عيناها المليئتان بالدموع وهو يخبرها:

اذا كنتِ في إنتظار شخص يكسو ملامحك بالألوان، فأنتِ تقتربين من الشخص الخطأ!

قلبي لم تشرق فيه شمسٌ منذ فقدت نفسي في الطريق، مع كل خطوة اخطوها كان ثمة شيء يتساقط، أسمع وقعه عند ارتطامه بالأرض كنت كالأبله أبكي على كل شيء سقط أتكوم عارياً أمامه أبكيه بكل ما أوتيت وحين أكمل نحيبي المعتاد أنهض و أكمل الطريق متوجساً، بلا رفيق سوى ما تبقي مني، و خوفٍ من سقوطٍ قادمٍ لا محالة!

مع كل سقوط يكسو الثلج الهوة التي تشكلت وتكمل ثقوبي بالجليد !

أعتدت صوت الارتطام تارة قلبي تارة إرادتي ثم كان أعظم فقدٍ لي ذاتي

لم أعد موجوداً إستبدلتُ كل ما هو حي بقطعةٍ من الجليد السميك، لم أعد أهاب شيئاً لكن لم أعد أشعر بشيء!

تريدين الأقتراب؟

صدقيني سيلسعك الصقيع سترحلين حتماً إن لم ترحلي اليوم ففي يومٍ ما سترحلين!

أنا فقط أريد أن أموت بسلام بلا وداعات ولا إقتراب أحد أن يبتلعني بؤسي بعيداً عن كل شيء!

دعينا نصبح لا شيء فقط.

مع أن اللا شيء مؤلم للغاية لكن ليس بالنسبة لي !

انا لا وزن لي!

تقول يا صديقي : لا وزن لك لكن عبقك يعطرُ الكون، أتنفسك أحياناً بل دائماً..قد يستمر العالم بك أو بدونك، أما أنا فبدونك سأنتهي لا محاله..لا أثر لك في ظاهري ولكنها مطبوعة داخل أعماق أعلى يسار صدري..لا يشبهك العالم قاسي هو ودفء الحياة يؤخذ منك .

لست بحاجة لأن تترك نفسك للهواء، ربما سيأخذك هو طمعاً في امتلاك ألقك، تَبَسْم وأترك الأشياء الثابتة، ربما قد يكون التحليق عالياً هو موطنك الحقيقي....تماماً كغيمة!.

-يا صديقتي ذات الملامح الجميلة الصافية كزرقة السماء،عميقة كما البرزخ بين عالم حولك و عالم يقبع بداخلك، أستغرب فعلاً كيف لروح مثلكِ أن تقبع في عالم كهذا.

هي المرة الأولى التي سأخبرك فيها بعد الألف التي اخبرت بها نفسي، أنني غارق في لُجِ عالمك، كل شعاع ترسلينه من شمسك و أنغامها البعيدة، يختلف عن سابقه، لكني اعلم يقيناً أن تأثيره عميق تماماً كعينيك .

كل ما بي لا يطيب إلا إن صارحتك فأنا يستهويني سحر المناظر أضواء المدينة البعيدة سماع صوت أنفاسي أشعر بما يجب أن أقوله اشعر به تحت جلدي! لكني أرتجف خوفاً تماماً كصخرة صغيرة ألقتها الأقدار في مجرى ماء مستعر بالحركة، يجرف ما يقع أمامه ليلقي مصيره البائس .

أنا أرى كل ما حولي متذبذباً بين الأبيض و الأسود، بين الوجود واللاعدم و اللاشيء لكن حين أبصرك لا أعلم ما يصيب قلبي هل أنتِ ألوان السماء و عبق الورود؟ أم أن السماء تقطن في عينيك؟

يبدو أنكِ نفثتي بعضاً من سحرك علي .

عقلي مضطرب قليلاً يا صديقتي!

همس لنفسه: ليتني أستطيع مناداتك بأكثر من هذا !

يا صديقي: بصمت يحتضن الكثير من الكلمات أجيبك..

أعتذر عن ثقل قلمي إن هذه الأنامل لا تكتب إلا النصوص الركيكه والباهته أتمنى حقاً أن تنالني نجمة الأمنيات فأطلبك خالداً كسماء صافية في ليلة شديدة السواد تضيئني رسائلك تعسف القلم عن الكتابة وظلّ كثير القول حبيس القلب فاقرأ ما ترددده العينان!

-يا جميلتي أطلت النظر في عينيك، لا بأس يا صغيرتي إن ظننت أن حروفك قد خانتك، فعيناك تضيئان كل شيء، تناجيان في أقسى ليالي الشتاء، كضوء عارٍ تماماً من كل الصخب والاحتشاد و الزخم، ضوء

هاديء سرمدي أينما تاه بعيداً عن فكري وجدته هناك دائماً يرجعني لحيث تموت الخطيئة، كل عمل يكون صالحاً حينها كل شيء مُدْرك كل ما يحتملُ الفسادَ ابداً لا يفسد بأصابع ترتجف كتبت:

أيمكنني اخبارك بشيء؟!

طاردتني خيالات أن البعد خير..أوصلتني لأخر الرغبات حيث كان طريقي موصد..إمتدت يد من أعلى الحائط فتشبثت بها..أتعلم يد من كانت!؟

كنت أنت، كانت حقيقة رغبتي خلف حائط بنته خيبات سابقة..

لكن الحقيقة أكثر من ذلك كله أنك وقفت خلفه حتى ناديتك فرفعتني إلى سماوات الطمأنينة المشبعة بدفء ترنيمات صوتك .

قلبي ينبض صديقتي حتى كاد يفارق صدري !

هي المرة الواحدة و الستون بعد المائة وأنا أمحو ما أكتب، الأمر جد صعب، سأحكي لك عن بعض خيالاتي البعيدة بدر مكتمل رمال شاطئ ذهبية،البدر ليس ما نألفه جميعاً ليس ما يقطن السماء أنا أتحدث عن ذلك الذي يسكن مقلتيك تمرين على قلبي كنسمة تحمل ما يحوي جميع هذا العالم من طمأنينة، تمرين بحضور لا أستطيع لحظه أن اقاومه، فأبوابي لا تملك سوى أن تفتح لك حتى تمري اعذري بعض الفوضي التي توجد داخلي بعض فناجين القهوة ربما تستنشقين من خلالها بعضاً من عطري المعتاد، أظن أنك ستحبينه يحوي بعض القرفة و القليل من الأعشاب و ورود الجبال .

ليتني أستطيع ان أجعل لك بيتا هناك، سأجعل فيه بعضاً مما تحبين.

تلك المذكرات تلك المذكرات التي يكتبها بلسان حاله و حالها يتخيل ردوداً كانت ستأتيه ونظراتٍ سيتبادلانها غاب في i ما يتمنى غارقاً في ما كان يمكن أن يقول حينها و لم يفعل كانت أربعة أحرف ستغير مصير كل شيء لكنه لم يقلها

طوى المذكرات التي نسجها من خياله فهو منذ زمن يعيش الحلم ويتخيل لقائها وردود أفعالها حتى نظراتها له تسكن الوهم فتواسي قلبه الغارق في السراب، ويتخيل لو أنه ذات يوم قال لها تلك الكلمة السحرية أكان سيتغير شيء حينها؟

ترك جسده يحلق في الظلمة مستسلماً للمحاليل المضادة للجنون التي إعتادها كل ليلة!